الروس، عاداتهم الاجتماعية ومعتقداتهم الدينية على ضوء رحلة أحمد بن فضلان إلى بلاد الصقالبة البلغار القرن 4هـ/10م.

The Russians, their social customs and religious beliefs in the light of Ahmed bin Fadlan's jour.

مريم بيري*

جامعة الجزائر 2(أبو القاسم سعد الله) – الجزائر

bairi.m.his@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024/03/15	2024/05/27	2024/07/31

الملخص:

نحاول من خلال هذه الدراسة التعريف بالروس خلال فترة العصور الوسطى من خلال ابراز عاداتهم الاجتماعية من لباس وزينة وتجارة وحرف، ومعتقداتهم الدينية من عبادات وطقوس جنائزية على ضوء ما ورد في رحلة أحمد بن فضلان سفير الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى بلاد الصقالبة البلغار، فقد سمحت له تلك الرحلة بالاحتكاك بالعناصر الروسية الذين التقى بهم عند نهر الفولغا أين كانوا يأتون لممارسة تجارتهم، فنقل في رحلته كل ما مشاهداته عن الروس من سلوكات اجتماعية وطقوس دينية خلال فترة القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي.

ومن ذلك فقد اعتبرت رحلة ابن فضلان أقدم وثيقة تناولت تاريخ الأمة الروسية قبيل اعتناقهم الديانة المسيحية.

الكلمات المفتاحية: الروس؛ الروس في العصور الوسطى؛ أحمد بن فضلان؛رحلة أحمد بن فضلان؛ السفارات العباسية.

* المؤلف المرسل

Abstract:

In this study, we try to introduce the Russians during the medieval period by highlighting their social habits from clothing , adornment ,trade and crafts and their religious beliefs of worship and funeral rites in the light of what was mentioned in the journey of Ahmed Bin Fadlan the ambassador of the Abbasid Caliph, al-Moqtadir Billah to the country of the Bulgarian Saqlab , that trip allowed him to come into contact with Russians of social behavior and religious rituals during the period of the fourth century AH, the tenth century AD.

Key words: Russian; Russians in the Middle Ages; Ahmed bin Fadlan; The Journey of Ahmed Ibn Fadlan; abbasid embassies. .

مقدمة:

تعتبر الرحلة صورة من صور التواصل الحضاري بين مختلف الشعوب والأمم على اختلال أجناسها ومعتقداتها، وقد قام الرّحالة العرب والمسلمون المشارقة والمغاربة والأندلسيون في فترة العصور الوسطى بالعديد من الرحلات الجغرافية لاكتشاف والتعرف على بلدان العالم، وصنفوا في ذلك كتبا ومؤلفات كثيرة تضمنت مدوناتهم عما شاهدوه عن جغرافية الأماكن والبلدان، وكذا تاريخ وعادات ومعتقدات الشعوب والأمم التي زاروها واحتكوا بها.

ومن أهم تلك الرحلات، رحلة أحمد بن فضلان إلى بلاد الصقالبة البلغار والتي تعتبر من أهم وأوثق الرحلات التي تناولت تاريخ شعوب وسكان آسيا الوسطى ومنطقة حوض الفولغا وشرق أوربا خلال فترة القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، وتختلف هذه الرحلة عما سبقها من رحلات أنّها لم تكن رحلة فردية لإشباع فضول الرحالة ورغبته في السفر والترحال واكتشاف البلاد، وإنّما جاءت تنفيذا لأمر الخليفة العباسي.

ومن هنا جاءت أهمية هذه الرحلة لما احتوته من معلومات قيمة عن الأتراك والبلغار والخزر والروس وغيرهم من سكان منطقة حوض الفولغا والمناطق الاسكندنافية على اعتبار كونه من أوائل الرحالة الذين قصدوا تلك البلاد، كما أنّه احتك بشعوب وقبائل لم يسبقه إليها أحد، ومن بين تلك الشعوب الروس.

لذلك سنحاول من خلال هذه الدراسة تناول جانب من تاريخ الأمة الروسية خلال فترة القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، فرحلة أحمد بن فضلان تعتبر أقدم وثيقة تناولت تاريخ الروس، وأشارت إلى جانب من حياتهم السياسية وعاداتهم الاجتماعية ومعتقداتهم الدينية، وعليه نطرح الإشكالية التالية، ماأهمية رحلة ابن فضلان بالنسبة لتاريخ الأمة الروسية؟ وما هي أهم عاداتهم ومظاهر حياتهم الاجتماعية ومعتقداتهم الدينية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج الوصفي التحليلي في عرض الأحداث التاريخية وتحليلها من خلال التعريف بأحمد بن فضلان ورحلته إلى بلاد الصقالبة، والتعريف بالروس وأصولهم، وإبراز أهم عاداتهم الاجتماعية ومعتقداتهم الدينية.

1-التعريف بأحمد بن فضلان ورحلته:

1.1. التعريف بأحمد بن فضلان:

هو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، مولى محمد بن سليمان، رسول الخليفة العباسي المقتدر بالله(295-320هـ/908-932م) [i]

إلى ملك الصقالبة[2] البلغار[3]، والحقيقة أنّه لا توجد ترجمة مفصلة عن حياة أحمد بن فضلان ومكانته العلمية والدينية في الخلافة العباسية يمكن للباحث الوقوف عليها، فلم تذكر كتب السير والتراجم ولا حتى كتب الجغرافيا التي نقلت عنه ترجمة عن حياته وسيرته، والترجمة الوحيدة المتوفرة عن ابن فضلان ما ذكرها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان[4].

كما لا نعرف مكان مولده ونشأته والمناصب التي تقلدها في الدولة العباسية قبل تكليفه بسفارة الخليفة، كما لا تتوفر أية معلومات عن سنه في أثناء قيامه بالرحلة لكن يظهر من خلال تحمله السفر الطويل والشاق خاصة مع صعوبة تضاريس المناطق التي سلكها في أثناء رحلته إلى جانب قساوة المناخ، أنّه لم يكن طاعنا في السن وأنّ له من القوة الجسدية والعلمية والدينية ما يأهله لهذه مهمة [5].

لكن رسالته التي كتبها عن رحلته قدمت لمحة عن شخصيته وثقافته الدينية وأخلاقه السامية، إلى جانب ورعه وصدقه وأمانته وإخلاصه في مهمته، وأنّه مثل في سفارته الإسلام والمسلمين وخليفة المسلمين أحسن تمثيل، دون اغفال أسلوبه الأدبي الرفيع[6] ، فقد سلك ابن فضلان في كتابة رحلته أسلوب الأدباء لا أسلوب الجغرافيين لذلك يكاد يخلوا الكتاب من التواريخ والأرقام ودرجات الطول والعرض، وذكر المسافات ومواقع البلدان على ما هي عادة الجغرافيين والرحالة في وصف رحلاتهم، لذلك فرسالة ابن فضلان أظهرت براعته الأدبية، وحسن بيانه وجودة عبارته ودقته في التعبير واستعمال الألفاظ المناسبة بأسلوب سهل ممتنع لم يتكلف فيه الانشاء[7].

2.1. التعريف بالرحلة:

كان سبب تكليف أحمد بن فضلان للقيام بتلك الرحلة، أنّه وصلت إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله في بغداد سنة 309هـ / 921م، سفارة من ملك البلغار ألمش بن يلطوار[8] يخبره فيها باعتناقه وشعبه للدين الإسلامي، ويسأله أن يبعث إليه من يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الإسلام، ويبني له مسجدا، وينصب له منبرا يقيم عليه الدعوة للخليفة

في جميع مملكته، كما طلب منه مساعدته في بناء حصن بين مملكته ومملكة الخزر[9] يكون حصنا له من خاقان الخزر[10].

كانت بغداد باعتبارها مركز الخلافة الإسلامية مقصدا للسفراء الذين كانوا يتوافدون إليها من مختلف الدول والممالك من آسيا وأوربا، محملين بمختلف التحف والهدايا ويسعون للتودد للخليفة وإقامة علاقات مع الدولة العباسية، وكانت تلك السفارة التي أوفدها ملك البلغار أكبر مثال للمكانة التي بلغتها الخلافة العباسية وأهميتها بين الدول والأمم خلال تلك الفترة، إلى جانب ما تمثله من شرعية دينية على اعتبار أنّها مركز الخلافة الإسلامية.

وردا على تلك سفارة شكل الخليفة العباسي وفدا ليمثل سفارته إلى ملك البلغار، وكان أحمد بن فضلان أحد أفراد تلك البعثة المكونة من أربعة أعضاء وهم، عبد الله بن باشتو الخزري وهو رسول ملك الصقالبة البلغار، والرسول البلغاري سوسن الرسي مولى نذير الحرمي، وتكين التركي، وباريس الصقلابي[11]، إلى جانب أشخاص ثانويين فيهم الفقيه والمعلم والغلمان كمعاونين للوفد، وكانت مهمة ابن فضلان التي كلفه الخليفة بها هي رئاسة السفارة، كما كلفه بمهمة حمل وقراءة رسالته أمام ملك البلغار، وتقديم المبلغ المالي إليه [12].

خرجت السفارة من بغداد يوم الخميس 11 صفر عام 309هـ، الموافق21جوان 921م، واتخذت طريقها شرقا ثم شمالا مرورا بإقليم الجبال، فهمذان، فالري قرب طهران اليوم، ثم عبروا نهر جيحون حتى وصلوا إلى بخارى، ومن بخارى أوغلوا في البراري والبوادي إلى أن وصلوا إلى مملكة البلغار، يوم الأحد 12 محرم 310 هـ، الموافق 11 ماي العام 922م، فكانت بذلك مدة الرحلة احدى عشرة شهرا[13].

كانت رحلة ابن فضلان طويلة واجه فيها هو وبقية أعضاء السفارة مخاطر الطريق وقساوة المناخ والتضاريس الصعبة وقطاع الطريق، لكن يبدو أن حفاوة الاستقبال التي حضي بها ابن فضلان ومن معه لدى ملك البلغار أنستهم متاعب الرحلة والمخاطر التي تعرضوا

لها، فقد خرج لاستقبالهم وفد خاص ضم الملوك الأربعة التابعين للملك، وإخوته وأولاده، استقبلوهم ومعهم الطعام والشراب، كما خرج الملك بنفسه لاستقبالهم، ونثر عليهم الدراهم كما هي عاداتهم، وأنزلهم في المكان الذي خصص لهم[14].

تحتل رحلة أحمد ابن فضلان مكانة فريدة في علم الجغرافيا وأدب الرحلات وتاريخ العلاقات الدبلوماسية، فهي ما تزال إلى اليوم تحظى بأهمية بالغة بين المصادر التي تركها هؤلاء خاصة فيما يتعلق بتاريخ روسيا وبلاد البلقان والقوقاز، لاحتوائها على معلومات قيمة وبالغة الأهمية عن أحوال تلك شعوب في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، على اعتبار كونه من أوائل الرحالة الذين قصدوا تلك البلاد، كما أنّه احتك بشعوب وقبائل لم يسبقه إليها أحد، ورغم أنّ ابن فضلان كان سفيرا في مهمة رسمية، ويحمل رسالة الخليفة العباسي الى ملك الصقالبة البلغار، إلا أنّه كان شاهدا على حياة الكثير من الشعوب والأمم والقبائل والبلاد التي مر بها، من الأتراك والخزر والبلغار والروس[15].

احتوت رسالة ابن فضلان على مشاهدات حية لنمط حياة وعيش تلك الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية والدينية، هذا ولم يكتف ابن فضلان بتدوين مشاهداته فقط، بل مارس دور المراقب والناقد والناصح في بعض الأحيان إذا شاهد سلوكا اجتماعيا لم يعجبه، ولم يتوافق مع الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، لذلك مثلت رحلته اختراقا لثقافة شعوب لم يسبق أن عرف العرب عنهم شيئا، فكان كل ما دونه في رحلته من مشاهدات حية يحمل طابع التوثيق ويمثل عين الصدق ورواية شاهد عيان لحياة شعوب كان مجرد التفكير بالوصول إليها ضربا من المستحيل[16] .

قدم ابن فضلان في رسالته التي تضمنت رحلته إلى بلاد البلغار، صور تفصيلية عن الحياة السياسية والاجتماعية والدينية لتلك الشعوب التي احتك بها، والتي مر ببلادها أثناء رحلته، فبدأ ببلاد العجم والأتراك وتحدث عن الكثير من القبائل التركية التي التقاها في أثناء رحلته ودخل بلادهم ومنهم الغزية، والبجناك، والباشغارد، ووقف على أدق تفاصيل

فيما يتعلق بحياتهم وبلادهم، حتى وصوله إلى مملكة بلغار الفولغا، ثم مواصلته الرحلة إلى بلاد الروس والخزر والبلاد الإسكندنافية، فأظهر من خلال مشاهداته عن حياة تلك الأمم والقبائل علاقة السلطة الحاكمة بالشعب، وعلاقة الرجل بالمرأة، والعلاقات الأسرية، ودور المرأة في المجتمع، والطقوس الجنائزية وعادات الدفن، ووقف على ما يتعلق باللباس والزينة، وقواعد الطهارة والنظافة، والسلوكات الأخلاقية التي تتعلق بالعفة والحياء، والطعام والشراب، وكل الظواهر الغريبة التي تحيط ببيئة وحياة الشعوب التي صادفها في رحلته.

من هنا تكمن أهمية الرحلة التي وصف المستشرق الروسي كراتشكوفسكي صاحبها ابن فضلان بأنّه يحتل المكانة الأولى بين الرحالة العرب الذين تحدثوا عن شمال أوروبا من الناحيتين الزمنية والذاتية، وأرجع له الفضل لأنّه قدم صورة حية للظروف السياسية للعالم الإسلامي، والعلاقات بين البلاد الإسلامية والبلاد المجاورة لها في آسيا الوسطى التي كانت تمثل أطراف العالم المتمدن أنذاك مثل نهر الفولغا، لذلك فإنّ رحلة ابن فضلان احتوت على مادة تاريخية قيمة جدا ومتنوعة بصورة فريدة، وهي تمس عددا من القبائل التركية البدوية القاطنة في آسيا الوسطى، وعددا من الشعوب التي كانت تلعب آنذاك دورا أساسيا في تاريخ أوروبا الشرقية كالبلغار، والروس، والخزر[17].

لم يكتف ابن فضلان بتنفيذ مهمته بتوصيل الرسالة إلى ملك البلغار، وإنما اندمج في الحياة الاجتماعية لتلك الشعوب والقبائل التي مر ببلادها، ومارس دور المراقب والناقد وحتى الناصح في بعض الأحيان إذا شاهد مالم يعجبه، ويبدو أنّ ما لم يعجبه في هذه الرحلة من سلوك وأخلاق الناس كان أكثر مما أعجبه، فهو لم يشاهد مايثير فضوله العلمي أو ما يمكن أن يضيف له معرفة جديدة، لذلك كان ابن فضلان يرى في علاقته مع الأخر أنّ ثقافته التي ينتمي إليها والتي هي مستمدة من مبادئ الشريعة الإسلامية تتعارض مع ثقافة الشعوب التي احتك بها فوقف منها موقف المعارض الرافض، ومع ذلك فقد حاول التغيير، لأنّه يعلم أنّ دينه يأمره بذلك، وهو أمر واجب عليه خاصة إذا كانت تلك السلوكات

هي منكرات ومحرمات من وجهة نظر الشريعة الاسلامية، وتتعارض مع القيم الإنسانية و الاجتماعية التي دعا إليها الإسلام.

3.1– أهمية الرحلة بالنسبة لتاريخ الروس:

يعتبر تاريخ الروس في العصور القديمة غامضا ومبهما في الكثير من جوانبه وذلك لإهمال المؤرخين الأوربيين الحديث عن الروس وتاريخهم، كما أنّ أغلب الدراسات الأوربية القديمة ركزت على تاريخ البيزنطيين والاسكندنافيين وأهملت تاريخ الروس، بالمقابل أعطى الرحالة والجغرافيون العرب المسلمون أهمية لتاريخ سكان المناطق الشمالية خاصة الروس والبلغار، فقد كان الفضول وحب الاستكشاف يدفع بهؤلاء الرحالة والجغرافيين لزيارة تلك المناطق خاصة لما كان يتداول من أخبار عن وجود حيوانات وكائنات غريبة وعجيبة، وشدة برودة الطقس وتجمد الأنهار، وقصر الليل والنهار[18]، فقد كانت تلك البلاد تستجلب الرحالة المسلمين خاصة الذين كان يدفع بهم الفضول لزيارة تلك المناطق ونذكر منهم المؤرخ والجغرافي المسعودي، والرحالة ابن بطوطة، والرحالة أبو حامد الغرناطي وغيرهم، وكلهم زاروا تلك البلاد في أزمنة مختلفة.

رغم أنّ رحلة أحمد بن فضلان هي رحلة في سفارة رسمية إلا أنّها تعتبر من أقدم الوثائق التي تناولت تاريخ الروس، لذلك فقد أعطى المؤرخون الروس عناية خاصة لها وقاموا بترجمتها ونشرها، وأصبحت مرجعا أساسيا يعرفهم على أوضاع وأحوال بلادهم[19]، ذلك أنّ التأريخ للروس والكتابة عن تاريخهم القديم وموطنهم وأصولهم العرقية، وحياتهم الاجتماعية، وطقوسهم الدَينية، وعلاقاتهم بالأمم والشعوب المحيطة بهم، يلزم الباحث الاعتماد على ما كتبه ودونه الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين في العصور الوسطى كالمسعودي وابن حوقل وابن خرداذبة وياقوت الحموي وابن بطوطة، ومن بين ما دونه هؤلاء تعتبر رحلة أحمد بن فضلان أقدم المصادر التي تناولت التعريف بالروس وتاريخيهم، قدم فيها ابن فضلان معلومات نادرة وقيمة عن أحوال الروس خلال فترة القرن الرابع

الهجري، العاشر الميلادي، على اعتبار كونه من أوائل الرحالة الذين قصدوا تلك البلاد وتحدثوا عن سكانها وعاداتهم و تقاليدهم.

2-الروس في رحلة أحمد بن فضلان:

1.2-التعريف بالروس وأصولهم:

يبدأ ابن فضلان في رسالته بالحديث عن الروس والتعريف بهم بقوله "رأيت الروسية وقد وافوا في تجاراتهم، ونزلوا نهر اتل"[20]، ثم يبدأ الحديث عن الروس الذين التقى بهم فيصف هيئتهم الخارجية وتجارتهم، وطقوسهم الدينية التي رآهم يمارسونها عند نزولهم من سفنهم على نهر الفولغا، دون أن يذكر تفاصيل كثيرة عن نسبهم وأصولهم التي ينتمون إليها.

نلاحظ أنّ أحمد بن فضلان لم يقدم تفاصيل وافية عن الروس وأصولهم بقدر ما ركز على مشاهداته عن مظاهر الروس الخارجية وعاداتهم وأخلاقهم ومعتقداتهم، فهو يكتف بتعرف الروس بقوله "رأيت الروسية" دون أن يشير إلى أنّهم صقالبة، رغم أنّه استعمل المصطلح عند حديثه عن بلغار منطقة حوض الفولغا الذين أرجع أصولهم إلى أنّهم جنس من الصقالبة، وهنا وقع الاشكال بين ابن فضلان ومن جاء بعده من الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين الذين فصلوا في تاريخ الروس ونسبهم وأصولهم العرقية ورجح أغلبهم انتماء الروس إلى جنس الصقالبة، لذلك سنقدم ما أورده ابن فضلان عن نسب الروس وأصولهم بالمقارنة مع ورد من معلومات لدى من جاء بعده من الجغرافيين والرحالة العرب المسلمين.

جاء تعريف الروس عند ياقوت الحموي "الروس يقال لهم رُسٌ بدون واو"[21]، وفي كتاب نخبة الدهر لشيخ الربوة، أنّ الروس ينسبون إلى مدينة اسمها روسيا على ساحل البحر المنسوب إليهم في الشمال[22]، بينما ذهبت أغلب المصادر الجغرافية وكتب الرحالة العرب والمسلمين في تعريفها للروس إلى أنّهم جنس من الصقالبة، ومن ذلك فقد عرف ابن خرداذبة الروس على أنّهم جنس من الصقالبة[23].

لكن تسمية الصقالبة لم تطلق على الروس فقط وإنّما كان يقصد بها سكان مناطق حوض الفولغا، أي سكان الشمال المجاورين لدولة الخزر، في حين أطلق ابن فضلان مصطلح الصقالبة على البلغار فقط دون غيرهم من الشعوب المجاورة لهم مثل الروس، ومن ذلك فقد أرجع المسعودي أصل جميع سكان الشمال من الترك، والخزر، واليونان، والروس، والفرنجة، واللان، إلى جنس الصقالبة وأنّهم ينتمون إلى صقلب بن مار بن يافث بن نوح عليه السلام، وأنّ هؤلاء الأقوام جميعا كانت لغتهم واحدة وملكهم واحد[24] .

وبالاعتماد على رواية المسعودي فإنّ الصقالبة قديما كانوا أمة واحدة، يحكمهم ملك واحد اسمه ماجك ولينانا، ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم وملك كل جنس منهم ملك[25]، وذهب الاصطخري في تصنيفه للروس، أنّهم ينقسمون إلى ثلاثة أصناف، صنف أقرب إلى البلغار، ملكهم بمدينة كويابه أي كييف، وصنف يسمون الصلاوية أي السلاف وملكهم بمدينة صلا، وصنف يسمون الأرثانية وملكهم مقيم بمدينة أرثا، وهذا الصنف الأخير منعزلون لا يتركون أحدا يتواصل معهم أو يدخل بلادهم، وإذا حاول أحد ذلك سيكون مصيره القتل[26]، وهو ما يتوافق مع رواية المسعودي أنّ الروس أمم وأنواع شتى، ومنهم من يقال لهم اللواذعة وهم الأكثرية [27]، وكذلك ذكر البكري "أنّهم أجناس كثيرة" [28].

ظهرت عند الروس عدة نظريات عن أصولهم وانتماءاتهم العرقية، وطرحوا في هذا السياق عدة تساؤلات، هل أنّهم ينتمون عرقيا إلى القبائل النورماندية الجرمانية، أم إلى القبائل السلافية (الصقالبة)، أو إلى القبائل السكيفية ذات الأصول الإيرانية، ففي العهود القيصرية تبنت الجهات الرسمية الروسية نظرية انتماء الروس الى النورمان، وكان مصدرهم مخطوطة رواية الأعوام السالفة التي كتبها القس نيستور في نهاية القرن الثاني عشر ميلادي، وأكد فيها على أنّ الروس هم مجموعة من قبائل النورماندية الجرمانية الشمالية التي سيطرت

بقيادة زعيمها ريوريك بداية القرن العاشر الميلادي على القبائل السلافية الصقلبية المستوطنة في حوض نهر الدنيبر[29] .

في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، ومع ظهور الإمبراطورية الروسية قامت نظرية أخرى عن أصل السكان الروس، على أيدي العالم الروسي الموسوعي لومونوسوف الذي رفض النظرية النورماندية، وأكد على أنّ الأصول التاريخية للروس هي أصول سلافية، وفي العهد السوفيتي تبنى الشيوعيون نظرية أخرى وهي النظرية السكيفية، التي تدعي أن الروس والسلاف ينتمون إلى القبائل السكيفية والسارماتية ذات الأصول الإيرانية التي كانت تقطن في جنوب أوكرانيا على السواحل المطلة على البحر الأسود في الألف الأولى قبل الميلاد، والتي ذكرها هيرودوت في كتاباته التاريخية، ويبدو أنّ الشيوعيين السوفيات أرادو من خلال تبنيهم لهذه النظرية ربط الروس بالشعوب المحلية القديمة، وهو ما يستعملونه كمبرر لفرض سيطرتهم على تلك الشعوب[30].

ومنه يمكن اعتبار أنّ كلمة روس Rus ، كلمة فِلَنْدِية أطلقها الفِلَنْدِيُون والسلاف على السويديين الذين قدموا إلى بلاد الروس واستوطنوا بها، وهي تعني البحارة وذلك لخبرتهم ومهارتهم في ركوب السفن، فيما ذهب بعض المؤرخين إلى أنّ أصل كلمة روس هو سلافي، وأطلق على السلاف الشرقيين[31]، وأكدت أغلب الدراسات التاريخية انتماء الروس للسلاف أو الصقالبة وهو ما يتوافق مع روايات الجغرافيين والرحالة العرب المسلمين، وأنهم مجموعة من القبائل الهندو أوربية، استقر معظمهم في منطقة أوربا الشرقية، وذلك منذ الألف الثالثة، والألف الثانية قبل الميلاد، واستوطنوا السهول والشواطئ الممتدة بين البحر الأسود وبحر البلطيق، وعاشوا في تلك المناطق، ومارسوا فيها عدة نشاطات اعتمدت على الزراعة، والرعي، وبعض الحرف اليدوية البسيطة[32].

أما عن موطن الروس الأصلي، فقد يكون المنطقة التي تنبع منها الأنهار الثلاثة الفولغا، والدنيبر، ودفينا الغربي، وهي منطقة فالداي والتي نجد في شمالها الغربي بحيرة لادوغا

الكبيرة، وعلى سواحلها يوجد العديد من الأطلال والتلال الأثرية، وأهم مدنها، لادوغا[33]، وهنا يمكن تفسير تسمية المسعودي للروس باللوذعانة حيث ذكر ومنهم من يقال لهم اللوذعانة، وهم الأكثرية، يختلفون بالتجارة إلى بلاد الأندلس، ورومية، والقسطنطينية، وبلاد الخزر[34]، وما يؤكد رواية المسعودي مارواه القزويني في روايته عن موطن الروس حيث ذكر أنّهم في "جزيرة وبيئة تحيط بها بحيرة"[35].

وتسمية اللوذعانة مشتقة من كلمة لادوغا، ولادوغا هو اسم بحيرة، والأكيد أنّ المنطقة كان يسكنها أعداد كبيرة من الروس لذلك سماهم المسعودي اللوذعانة نسبة إلى بحيرة لادوغا[36]، ومنه فإنّ التعريف الذي يمكن أن نعرف به الروس، أنّهم مجموعة من القبائل السلافية استوطنت على مدى قرون منطقة لادوغا، واختلطت مع الكثير من شعوب التي تسكن تلك المنطقة كالصقالبة، والفلنديين، والمغول، والبجناك، والقفجاق، وشعوب سيبيريا وآسيا الوسطى، ثم بدأوا يظهرون ككيان سياسي موحد في لادوغا، ثم نوفجورد، ثم كييف.

1.3-عاداتهم الاجتماعية:

ساهمت الرحلة التي قام بها ابن فضلان إلى بلاد الصقالبة في منطقة حوض الفولغا واحتكاكه بالعناصر الروسية في تقديم صورة واضحة عن أخلاق الروس وطباعهم، والكثير من عاداتهم وأعرافهم الاجتماعية، وقد تميزت روايته بدقة الملاحظة في نقل تفاصيل الممارسات اليومية للروس، ويجب الإشارة هنا إلى أنّه خلال الفترة التي زار فيها ابن فضلان المنطقة كان الروس ما يزالون وثنيين وفيم العديد من العادات بدائية مستوحاة من ديانتهم الوثنية، وفيهم أيضا الكثير من الصفات والأخلاق الفاسدة.

لذلك نجد ابن فضلان يصفهم بأوصاف سيئة وألفاظا ذميمة، وذلك نتيجة ما شاهده من طباعهم وأخلاقهم الفاسدة التي كان الكثير منها لا يتوافق مع الأخلاق والعادات الإسلامية التي اعتاد عليها، كما أنّهم كانوا بعيدين عن قواعد النظافة والطهارة،

فنجده يصفهم وهو يتحدث عن أخلاقهم بأنّهم أقذر خلق الله، ووصفهم في موضع آخر بالحمير الضالة[37].

عاش الروس حياة بدائية تقوم على أساس القبيلة، وكانوا يسكنون جماعات في منازل بسيطة هي عبارة عن أكشاك خشبية، وفي تجاويف جذوع الأشجار، ثم تطورت حياتهم قليلا وأصبحوا يعيشون في منازل بسيطة هي عبارة عن بيوت خشبية، ونظرا للظروف الطبيعية الصعبة، والطبيعة المناخية الباردة في البلاد الروسية فقد كان لها تأثير على نمط حياتهم وطريقة عيشهم فمارسوا الزراعة التي كانت تعتمد على وسائل بدائية، حيث يقومون بحرث الأرض باستعمال محراث خشبي تقليدي تجره الخيول أو الثيران، كما مارسوا الصيد في البراري والأنهار نظرا لتوفر المنطقة على الأحواض النهرية.

وبداية من القرنين الثامن والتاسع الميلاديين تغير نمط عيش الروس، وانتقلت حياتهم من القبلية إلى المدنية، وبدأوا في تشييد المدن، فتغيرت حياتهم التي أصبح يطغى عليها الطابع المدني، ثم بدأوا بممارسة التجارة فاحترفوا صناعة السفن وهو ما ساعدهم في التنقل بين الأنهار والأحواض المائية لممارسة التجارة أحيانا، وللإغارة والنهب والسلب على الأمم والممالك المجاورة لهم أحيانا أخرى[38]، وفي ذلك قال ابن فضلان "رأيت الروسية وقد وافوا في تجاراتهم ونزلوا على نهر ايتل"[39]، وكذلك قال البكري عن الروس أنّهم "أهل جزائر ومراكب وقوة على البحر وتصرف كثير فيه"[40].

يقدم ابن فضلان وصفا دقيقا للمظاهر والعادات الاجتماعية للروس، وبدأ أولا في وصف بنيتهم الجسمانية، ثم لباسهم، فأسلحتهم التي كانوا يحملونها معهم على أجسامهم، فذكر أنّهم يتمتعون بأجسام قوية، ومن دهشته من قوة أبدانهم شبههم بالنخيل، فقال "فلم أرى أتم أبدانا منهم كأنهم النخل"، وهذا يدل على أنهم كانوا يتميزون بطول القامة، وبأجسام قوية وضخمة وذلك من تأثير الطبيعة عليهم، فمعروف أنّ قسوة الطبيعة لها تأثير على البنية الجسمانية، وبلاد الروس تقع في الشمال، وهي قريبة جغرافيا من منطقة

المحيط المتجمد الشمالي ومناخها بارد جدا، فكان لابد من أنّ يكون للطبيعة تأثير على أجسامهم، ثم وصفهم بأنهم "شُقر حُمر"[41]، وهو نفس وصف الرحالة ابن بطوطة للروس فقال بأنهم "شقر الشعور زرق العيون قباح الصور"[42].

أما لباسهم، فإنّ لباس الروس مختلف عن غيرهم من الشعوب المجاورة لهم، حيث أنهم يلبسون القراطق القصيرة[43]، مخالفين في ذلك جيرانهم من البلغار والأتراك الذين يلبسون القراطق الطويلة[44]، وذكر ابن فضلان وهو يصف ملابسهم، أنّ الرجل الروسي يلبس كساءً يشتمل به على أحد شقيه، و يخرج إحدى يديه منه، وبما أنّ الروس محاربون أشداء يتميزون بالقوة والشجاعة، فإنّ هذا الأمر كان يظهر على هيأتهم، حيث كان كل رجل يحمل معه فأسا وسيفا، وسكينا لا يفارقه، ومن الأمور التي كانت تظهر على أجسام الرجال ويتميز بها قيامهم بوشم أجسادهم، في ذلك قال ابن فضلان، ومن حد ضفر الواحد منهم إلى عنقه مخضر شجر وصور وهذا يدل على أنّ الوشم كان يشمل جسم الرجل كله، وهو عبارة عن رسم على شكل أشجار وصور[45].

لم يغفل ابن فضلان التطرق للمرأة الروسية فقام بوصفها وصفا دقيقا، فأخبرنا أنّ النساء كن حريصات على إظهار زينتهن، وأنّه من عادات نساءهم أن تضع كل امرأة على ثديها حقة مشددة من حديد أو فضة أو نحاس أو ذهب، كل امرأة على قدر ما تملك من المال، كما كانت كل امرأة تضع في عنقها طوقا أو طوقان على حسب ثروتها وثروة زوجها، وأن الرجل كلما ازدادت ثروته من التجارة فإنه يكون ملزما بشراء الزينة لزوجته، فمن ملك عشرة دراهم اتخذ لزوجته طوقا من ذهب، وإذا ملك عشرين درهما اتخذ لها طوقين، وربما يشاهد في عنق المرأة عدة أطواق من ذهب وفضة، ويرتبط ذلك بحجم ثروة زوجها، وذكر ابن فضلان أنّ أجلّ الحلي عندهم الخرز الأخضر من الخزف، وذكر أنهم يشترون الخرزة بدرهم و ينظمونه عقودا لنسائهم[46] .

وكانت صناعة الحلي والمجوهرات صناعة محلية لذلك فهي مادة متوفرة بكثرة وأسعارها مناسبة، حيث أنّ بلادهم كانت مشهورة بتوفرها على المعادن الثمينة من الذهب والفضة[47]، وفي ذلك قال المسعودي أنّ "للروس في أرضهم معدن الفضة كثير"[48].

أما عن أخلاقهم وعاداتهم اليومية، فيبدو أنّها لم تعجب ابن فضلان الذي اعتبر أنّ الروس مايزالون بعيدين عن الأخلاق الفاضلة والسلوكات الحسنة خاصة فيما يتعلق بالتستر والحياء وقواعد الاغتسال والنظافة، فقد لاحظ الكثير من العادات اللاأخلاقية عندما التقى التجار الروس عند نهر الفولغا، فلاحظ أنهم لا يستنجون ولا يغتسلون إذا ما فرغ أحدهم من قضاء حاجته كما أنّهم لا يغتسلون من جنابة، ولا يغسلون أيديهم من الأكل.

وتبدأ هذه السلوكات عندهم منذ بداية يومهم حيت ذكر أنهم يجتمعون للمبيت في بيت واحد، وعندما يستقضون في الصباح يغتسلون في إناء واحد، حيث تطوف الجارية بذلك الإناء على جماعة من الرجال فيغسل الأول وجهه، ويضع في ذلك الإناء كل ما يخرج من فمه وأنفه، ثم تحمل الجارية ذلك الإناء بما فيه وتطوف به على الجماعة الآخرين الذين يغتسلون من نفس ذلك الاناء وهم يضعون فيه كل ما يخرج من أنوفهم وأفواههم الواحد تلو الآخر دون أن تقوم بتغيير ذلك الماء[49] .

هذه السلوكيات البعيدة عن قواعد النظافة جعلت ابن فضلان يصف هؤلاء الروس بأنّهم أقذر خلق الله، وشبههم بالحمير الضالة، فهو القادم من بغداد مدينة الحضارة والنظافة، كما أنّ الدين الإسلامي يحث على الطهارة والاغتسال، وهؤلاء الروس الذين التقاهم ابن فضلان لم يكونوا يعرفون شيئا عن آداب الاغتسال والنظافة وما تزال حياتهم فيها الكثير من العادات البدائية، ولم تعرف الحضارة طريقها إليهم بعد، والحالة التي كانوا عليها لم تكن تختلف كثيرا عن أحوال الكثير من الشعوب والقبائل التركية التي مر بها ابن فضلان وهو في رحلته إلى بلاد الصقالبة البلغار، والتي كان يطغى على حياتها الجهل

والتخلف، وتنتشر بينهم الكثير من العادات البالية والأخلاق الفاسدة التي تخالف الفطرة البشرية وما دعا إليه الإسلام، وأنّ ما يحرك هؤلاء الأقوام هو اندفاعهم وراء غرائزهم وشهواتهم، لذلك نجده يشبهه هؤلاء الأقوام بالحمير الضالة أي كالحيوانات تتبع غريزتها فقط .

يقدم ابن فضلان في حديثه عن الروس صورة عن العلاقة بين المرأة والرجل، فذكر أنّ الرجال والنساء يبيتون في مساكن مشتركة وحياتهم الزوجية مكشوفة لا حياء فيها، كما أشار إلى عدم وجود التستر والعفة بين الجنسين، حيث أنهم يجتمعون في بيت واحد قد يضم بين العشرة أو العشرين من النساء والرجال في غرفة واحدة، وأنّهم يقومون بأعمال مخجلة وينظر بعضهم الى بعض، دون رادع أخلاقي[50].

كما أشار ابن فضلان إلى بعض عاداتهم الاجتماعية ونظرتهم للسارق والمريض، فلاحظ أن الروس يعاقبون السارق بشدة، ومن بقوم بالسرقة ينتظره عقاب شديد، حيث يعلق فوق شجرة طويلة، ويشد عنقه بحبل و يترك على حالته تلك حتى يتقطع جسده ويتحلل بفعل الرياح أو الأمطار، كما كانت لهم معاملة خاصة للمريض فهو منبوذ عندهم، فكان من عاداتهم أنّه إذا مرض أحدهم مرضا شديدا يقومون بعزله، حيث أنّهم يعزلون المريض وينصبون له خيمة في مكان بعيد عنهم، ويضعونه داخلها ويضعون له فيها كل ما يحتاجه من خبز وماء ولا يقتربون منه ولا يكلمونه، فإن شفي رجع إلى حياته الطبيعية، وإن مات يحرقون جثته، أما إذا كان المريض من الضعفاء أو العبيد فيتركونه على حالته تأكله الكلاب والطيور[51].

هذه الصورة التي نقلها ابن فضلان عن المجتمع الروسي قبل اعتناقه المسيحية، تبين أهمية الدين في حياة الإنسان، لأنّ الإسلام جاء بشرائع تضبط أخلاق وسلوكات الانسان، وهؤلاء القوم لا دين لهم ولا شريعة تضبط أخلاقهم وأعمالهم، لذلك فهم ينقادون فقط وراء شهواتهم فقط، يكثرون من شرب الخمر ويقبلون عليه ليلا ونهارا، وربما يموت الرجل

منهم وكأس الخمر في يده[52]، وهذا الذي يقدمه ابن فضلان صورة تعكس التفاوت الحضاري بين العالم الإسلامي والكثير من البلاد في أسيا الوسطى وأروبا الشرقية والمناطق الإسكندنافية خلال فترة العصور الوسطى، والتي كانت ما تزال تعيش في الجهل والظلام، في وقت كانت البلاد الإسلامية تعيش قمة الحضارة، وقد أضاءت بالعلم والمعرفة ويجتهد علماءها في وضع النظريات العلمية والفقهية والفلسفية، وتطورت عندهم الكثير من العلوم والمعارف كالفلك والطب والفيزياء والرياضيات وغيرها وتزينت مكتباتهم بمختلف المصنفات وفي شتى المجالات العلمية والدينية والدنيوية .

وقد وصف المؤرخون المعاصرون حال روسيا في ذلك العصر بالوصف التالي"إذا تمعن الفرد في طبيعة حياة المسكوفيين وأساليبهم اضطر إلى التسليم، بأنّه لم يجد شيئا آخر يفوق ذلك الشعب الروسي همجية، إنهم لا يتعلمون أي فن أو علم أو يأخذون أنفسهم بأي لون من ألوان الدراسة، وعلى النقيض من ذلك بلغ بهم الجهل أنّهم يظنون أن ما من إنسان يستطيع أن يضع تقويما إلا إذا كان ساحرا يتنبأ بدورة القمر وحركة الكسوف والخسوف إلا إذا كان على اتصال بالشياطين"[53].

2.3– معتقداتهم الدينية:

كانت الديانة المنتشرة بين الروس هي الديانة الوثنية، فقد آمنوا كغيرهم من الأمم الوثنية القديمة بوجود آلهة تتحكم في مختلف الظواهر الطبيعية، فجعلوا لكل ظاهرة في الطبيعة إله يتحكم بها، ومن الآلهة المنتشرة عندهم والتي كانوا يعبدونها الإله بيرون إله الرعد والبرق، واستريبو إله الريح، وسفاروج إله السماء، كما آمنوا بوجود أرواح في الصخور والأنهار والأشجار وفي الحيوان والإنسان[54]، وفي ذلك قال البكري عن الروس أنّهم أمة مجوسية[55]، لكن ما يلاحظ عند الروس أنّه لم تكن لهم معابد يتعبدون فيها، ولا كهنة للإشراف على المعابد والطقوس الدينية على ما كان سائدا عند الشعوب الوثنية القديمة القربة من الروس كالإغريق والرومان والجرمان.

بقي الروس وإلى فترة القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي على ديانتهم الوثنية، على الرغم من انتشار الديانات السماوية في المناطق المجاورة، فقد كان البيزنطيون في جنوبهم الغربي على المسيحية، والخزر في الشرق على اليهودية والإسلام، والبلغار في الشمال الشرقي على الإسلام، وفي حديثه عن الديانة التي كان عليها الروس، أشار ابن فضلان إلى أنّ التجار الروس الذين التقى بهم عند نهر الفولغا كانوا وثنيين، وقدم وصفا دقيقا لطقوسهم الوثنية التي رآهم يمارسونها، فذكر أنّهم يسجدون لصنم مصنوع من خشبة طويلة يركزونها على الأرض، لها وجه يشبه وجه البشر وحولها صور صغار، وخلفها خشب طوال منصوبة على الأرض، له يسجدون ويتشفعون ويتضرعون، ويقدمون له القرابين، وكانوا يسعون من وراء تقديم تلك القرابين أن يسهل الرّب تجارتهم ويكثر أرباحهم [56].

كان التجار الروس يعتقدون بقدرة الأوثان على تصريف بضاعتهم إذا ما هم قدموا لها الهدايا والقرابين، ووصف ابن فضلان ما يقومون به بقوله، وساعة توافي سُفنهم إلى هذا المرسى يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ، حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة لها وجه يشب وجه إنسان، وحولها صور صغار، وخلف تلك الصور خشب طوال، قد نصبت في الأرض، فيوافي إلى الصورة الكبيرة فيسجد لها، ويقول يا رب قد جئت من بلد بعيد، ومعي من الجواري كذا وكذا رأسا، ومن السمور كذا وكذا جلدا، حتى يذكر جميع ما أحضر معه من بضاعته ، ثم يقول وجئتك بهذه الهدية، ثم يترك الذي معه بين يدي الخشبة أي الصنم ويقول، أريدك أن ترزقني تاجر معه دنانير ودراهم كثيرة فيشتري مني كل ما أريد، ولا يخالفني فيما أقول، ثم ينصرف[57]، إنّ ما كان يقوم به هؤلاء التجار من تقديم للقربات والهبات، يعكس أنّ ديانتهم ترتبط بتلبية حاجاتهم الاجتماعية والمعيشية، وليس لها علاقة بالشعور الروحي والإيماني.

من أقوى المظاهر الدينية التي تركت أثرها لدى ابن فضلان ظاهرة حرق الروس أجساد موتاهم بعد وفاتهم، وقد كانت هذه ظاهرة عادة منتشرة لدى الشعوب القديمة

خاصة الهنود، فقدم صورة تفصيلية عن الطقوس الجنائزية والمراسيم الخاصة بحرق الموتى، فقد كان شاهدا على إحراق أحد الموتى، وفي صفحات مطولة يروي ابن فضلان مشاهد الدفن عند الروس، الذين يقومون بحرق موتاهم، وكان قد سمع أنّ الروس يفعلون بملوكهم عند الموت أمورا غريبة بما فيها الحرق، فأراد أن يشاهد ذلك بنفسه، كما كان حريصا على أن يدون لنا المشاهد بكل تفاصيلها.

أشار ابن فضلان إلى وجود طبقية وفوارق بين الموتى وفي طريقة حرق الجثة، فإذا كان الميت فقيرا يعملون له سفينة صغيرة ويضعونه داخلها ويقومون بحرقه، أما إذا كان الميت غنيا وسيدا في قومه أو ملكا فإن حرق جثته تتم وفق مراسيم جنائزية خاصة، حيث أنه يستغرق الإعداد لجنازته عشرة أيام يقومون فيها بخياطة ثيابه، وتحضير كل المستلزمات، كما يقوم المكلفون بجنازته بجمع ماله وتقسيمه، فيجعلونه ثلاثة أثلاث، ثلث لأهله، وثلث لثيابه، وثلث يصرفونه على النبيذ الذي يقدمونه يوم يحرقون جثته، ثم يطلبون من جواريه وعبيده أن يقدم أحدهم نفسه ليحرق مع سيده وعندما تتطوع الجارية المناسبة تبدأ الطقوس الخاصة بحرق الميت [58].

هذه الظاهرة التي كانت منتشرة عند الروس استوقفت الكثير من الجغرافيين والرحالة العرب المسلمين الذين بعد جاءوا بعد ابن فضلان، فذكر المسعودي أنّ الروس يحرقون موتاهم ودواب ميتهم وآلاته وحليه، وإذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة[59]، وأشار ابن حوقل إلى هذه الظاهرة فقال أنّ "الروس قوم يحرقون أنفسهم إذا ماتوا مع مياسيرهم والجواري منهم بطيب أنفسهم كما يفعلون بغانه وكوغة ونواحي بلاد الهند"، وكذلك أشار ابن بطوطة إلى عادة حرق الموتى طريقة عند الهنود، والتي كان قد شاهدها بنفسه أثناء رحلته في بلاد الهند[60]، وهي تشبه كثيرا مراسيم إحراق الموتى عند الروس، لكن الاختلاف هو أنّ الرجل الهندي عند وفاته تحرق معه زوجته، وهذا الأمر يكون اختياري

بالنسبة للزوجة، حيث أنهم لا يجبرونها على ذلك، ولكن المرأة التي ترفض أن تحرق مع زوجها، عليها أن تلبس الخشن من الثياب، وتعيش مذلولة بين قومها[61] .

رواية ابن فضلان هي رواية شاهد عيان، وقف على التفاصيل الدقيقة التي يتبعها الروس خلال مراسيم حرق الميت، ويبدو أن الطقوس المتبعة في الحرق قد حركت مشاعر ابن فضلان وأثارت لديه انفعالات متضاربة امتزجت بين الدهشة والصدمة والألم لما شاهده من أفعال وسلوكات غير مألوفة لديه، فحرق الموتى هو أمر يتعارض مع ما جاء به الإسلام ،كما أنّ حرق الأحياء مع الموتى بحجة الإخلاص لهم هو ظلم كبير لهم، خاصة أن الضحية تكون عادة المرأة، وتلك الطقوس تعكس حقيقة المرأة وتدني مكانتها في المجتمعات الوثنية القديمة، فهي كائن حي لها الحق في الحياة وكأن موت زوجها أو سيدها يعني نهاية حياتها وعندهم، فالمرأة إذا ماتت لا يفديها زوجها ولا يضحي بحياته من أجلها، لكن إذا توفي زوجها أو سيدها فإنّه واجب عليها أن تضحي من أجله وتحرق معه وهي حية وهذا ظلم كبير بحقها.

كما لم يغفل ابن فضلان وهو يروي تفاصيل حرق الميت والسفينة، ما دار من حوار بينه وبين أحد الروس، عن طريق المترجم حول مسألة دفن الموتى عند العرب فقد اعتبر الروسي أنّ العرب حمقى بدفنهم الموتى في التراب، وكانت حجته أن قال لابن فضلان، إنكم تعمدون إلى أحب الناس إليكم، وأكرمهم عليكم فتطرحونه في التراب، فيأكله التراب والهوام والدود، ونحن نحرقه بالنار في لحظة فيدخل الجنة من وقته وساعته"[62]، إنَ هذا الحوار يعكس مدى التفاوت في المفاهيم، فقد كان الروسي مبتهجا وهو يرى الريح تأخذ رماد السفينة بمن فيها، معتقدا أنّ ذلك من محبة ربه لهذا الميت، يبعث ريحا تأخذه في ساعته، بينما كان ابن فضلان متألما من أعماقه ومتأثرا بمشاهد الحرق المروعة.

خاتمة:

– أظهرت الرحلة العلاقة بين ابن فضلان والآخر، والتي تعكس العلاقة بين العالم الإسلامي المتمدن ممثلا في الحضارة الإسلامية وما بلغته من تطور علمي ورقي أخلاقي، مع البلاد المجاورة في أسيا الوسطى، وأوربا الشرقية، والتي كانت ما تزال أغلب شعوبها تعيش حياة بدائية وتحكمها أخلاق وعادات وثنية.

– نظر ابن فضلان نظرة استصغار لحال الشعوب التي زارها خاصة شعوب منطقة حوض الفولغا ومنهم الروس، والذين كانوا وإلى فترة القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي مايزالون يعيشون في تخلف وفيهم الكثير من الأخلاق والعادات السيئة.

– تعارض الكثير من العادات الاجتماعية والدينية للروس مع العادات الإسلامية، وأبرزها طقوس الدفن وإحراق الموتى، فقد أبدى ابن فضلان رفضه لذلك الفعل، كما رفض دفن الأحياء مع الأموات ورأى في بعض العادات أنّها عادات اجتماعية ظالمة.

– أظهرت رحلة ابن فضلان هي صورة عن ذلك التقارب الحضاري بين الحضارة الإسلامي مع غيرها من الحضارات الأخرى خلال العصور الوسطى، أن الرحلة لعبت دورا كبيرا في تقريب المفاهيم الدينية واللغوية بين مختلف الشعوب، وكانت وسيلة تواصل، وهمزة وصل بين الحضارات، وساهمت في التقارب وتقبل الآخر مهما كان جنسه أو معتقده.

– عاش الروس حياة بدوية بسيطة تعتمد على الزراعة وممارسة بعض الحرف اليدوية البسيطة، ثم احترفوا التجارة والملاحة البحرية، وبرعوا في صناعة السفن كما مارسوا النهب والإغارة على الشعوب والدول المحيطة بهم في بعض الأوقات لكنهم تميزوا عن غيرهم من بالقوة، وهذه الإمكانيات شكلت عامل قوة لديهم، ومع مرور الزمن انتقلوا من حياة البداوة الى المدنية أصبحوا أقوى قوة إقليمية في منطقة الفولغا والقوقاز بل وفي شرق أوربا كلها.

قائمة المصادر والمراجع:

أ–المصادر:

1- الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ط.1992.

2.ابن بطوطة أبو عبد الله محمد اللواتي بن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، بيروت، د.ت.

3. ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، ج.1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط.1992.

4.ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889.

5.ابن فضلان أحمد بن العباس، رسالة ابن فضلان، في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، تحقيق، سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، د.ت.

6. البكري أبو عبيدة، المسالك والممالك، تحقيق، أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، ط. 1992.

7.الحموي شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط.1977.

8.السيوطي جلال الدين، تاريخ الخلفاء تحقيق، عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، ط.2003.

9.شيخ الربوة شمس الدين الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعة مه. ر. هـ. ن، لبيستك، ط.1923.

10.القزويني زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.

11.المسعودي أبو الحسن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة5، د.ت.

12.المسعودي أبو الحسن علي، التنبيه والاشراف، تصحيح ومراجعة، عبد إسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف، القاهرة، ط.1938.

ب- المراجع:

1.عاشور عبد الفتاح سعيد، أوربا عصور وسطى، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1980.
3.عبد الحليم رجب محمد، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
4. عمران محمود سعيد، المغول وأوربا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د.ت.
5.كراتشكوفسكي أغناطيوس يوليانوقتوش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، صلاح الدين عثمان، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جامعة الدول العربية، القاهرة، د.ت.
6. هايد.ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة، أحمد محمود رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط. 1985.

ج–الدوريات:

1.شعار عمر محمد، الروس وأصولهم على ضوء عمل المسعودي، مجلة التسامح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد 11، 2005.

2.الشمري نادية جاسم كاظم، رحلة القيصر الروسي بطرس الأكبر إلى أوربا(1697–1689)، مجلة جامعة بابل، كلية التربية، المجلد.24، العدد الأول، 2016.

3.عنان محمد عبد الله، الصقالبة في الرواية العربية وفي الدولة الأندلسية، مجلة الرسالة، العدد 126، الصادرة بتاريخ 02 ديسمبر 1935.

3.المريخي سيف شاهين، العلاقات التجارية بين الصقالبة والعرب المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين، التاسع والعاشر الميلاديين، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة قطر، العدد 14، سنة 2002.

الهوامش:

[i] الخليفة المقتدر بالله، هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد، قيل عنه أنّه كان جيد العقل، صحيح الرأي، لكنّه كان محبا للشراب والنساء، كثير التبذير على النساء والجواري، تولى الخلافة سنة 295 هـ، توفي مقتولا في شوال سنة 320 هـ، انظر سيرته عند السيوطي (جلال الدين)، تاريخ الخلفاء تحقيق، عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، طبعة 2003، ص 374 وما يليها من عدة صفحات.

[2] الصقالبة، هي مفرد كلمة صقلب، أو صقلبي أو صقلابي مشتقة من كلمة اسكلابوي Sklavoi البيزنطية أطلقها البيزنطيون على الشعوب السلافية المجاورة لبلادهم والتي اعتادوا على سبي والاسترقاق منها، كما أطلق عليهم السلاف Slavs و Exlave ، وهي مأخوذة من كلمة سلافا باللسان الصقلبي ومعناها المجد، أو من كلمة سلوفو، ومعناها الكلام وكانت تلفظ عندهم سكلاف، فعربها العرب إلى صقلب، يقصد بها سكان مناطق حوض الفولغا، أي سكان الشمال المجاورين لدولة الخزر من البلغار والروس وغيرهم من الأجناس التي كانت تستوطن المنطقة، وأصبح هذا اللفظ عندهم يطلق على الرقيق الأبيض، ثم اشتقت منها كلمة Slave الانجليزية ، والتي تعني العبد أو المملوك، ولكثرة ما كان الأوربيون يسترقون منهم أصبح اسم السلاف أو الصقالبة يقصد به الرقيق الأبيض، حيث كان النخاسون يحملونهم من شمالي أوربا ويتاجرون ببيعهم في مختلف أنحاء العالم، المريخي سيف شاهين،العلاقات التجارية بين الصقالبة والعرب المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين، التاسع والعاشر الميلاديين، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة قطر، العدد 14، سنة 2002، ص 156؛ عنان محمد عبد الله، الصقالبة في الرواية العربية وفي الدولة الأندلسية، مجلة الرسالة، العدد 126، الصادرة بتاريخ 02 ديسمبر 1935، ص4.

[3]البلغار هم قوم من الترك، قال ياقوت الحموي "أنّهم قوم مولدون من الترك والصقالبة"، ومدينة الصقالبة ضاربة في الشمال، شديدة البرد لا يكاد الثلج يقلع عن أرضها صيفا وشتاء، وهي واقعة على نهر الفولغا، وكان ملك البلغار وشعبه قد أسلموا في أيام الخليفة العباسي المقتدر بالله، الحموي شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، ج.1، دار صادر، بيروت، ط.1977، ج.1، ص ص 458، 486.

[4] ابن فضلان، المصدر نفسه، ص 38، ومايليها من عدة صفحات.

[5] ابن فضلان أحمد بن العباس، رسالة ابن فضلان، في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، تحقيق، محمد سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، (د.ت)، ص ص 38، 39.

[6] ابن فضلان، المصدر نفسه، ص 38، ومايليها من عدة صفحات.

[7] المصدر نفسه، ص 28.

[8] عن إسلام ملك البلغار وشعبه، تذكر الروايات أنّ رجلا صالحا مسلما يدعى بلار عالج الملك ألماش قيل أنّ اسمه هو الحسن بن يلطوار وزوجته من مرض أصابهما، وأنّه اشترط عليهما الدخول في الإسلام إن هما شفيا، فلما تماثلا للشفاء، أعلانا إسلامهما، وأسلم معهما شعبهما، وتسموا ببلغار، نسبة إلى الرجل الصالح ، وقد أرسل الملك ألماش بن يلطوار سفارة الى الخليفة المقتدر بالله العباسي يخبره فيها بإسلامه وقومه، أنظر ابن فضلان، المصدر السابق ص ص 67، 68؛ عبد الحليم رجب محمد، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ص 107، 108.

[9] كانت مملكة الخزر أقوى مملكة تركية في حوض نهر الفولغا من القرن السابع إلى غاية القرن الحادي عشر الميلادي، يلقب ملكهم بالخاقان، وكان خاقان الخزر يفرض الجزية على خمسة وعشرين مملكة من الممالك المجاورة له، كما كان يأخذ بنات الملوك الذين يجاورونه ويتزوجهن طوعا أو كرها، وهذا الفعل دفع بملك البلغار المسلم لطلب العون من الخليفة العباسي لبناء حصن بين مملكة البلغار ومملكة الخزر، ابن فضلان، المصدر السابق، ص ص 171،172.

[10]ابن فضلان، المصدر السابق، ص ص 67،68.

[11]بالنسبة لأعضاء الوفد فقد تم اختيارهم بعناية لأنّهم يجيدون اللغات الشمالية، تكين التركي فهو تركي يجيد اللغات التركية التي تمر السفارة على بلادهم، وسوسن الرسي هو روسي استجلب من الرقيق، بالنسبة لأعضاء الوفد فقد تم اختيارهم بعناية لأنهم يجيدون اللغات الشمالية، تكين التركي فهو تركي يجيد اللغات التركية التي تمر السفارة على بلادهم، وسوسن الرسي هو روسي استجلب من الرقيق، أسلم وتعلم اللغة العربية، وكان حاجبا للخليفة المكتفي بالله(289-295هـ/902-908م)، أما باريس الصقلابي واسمه دليل على أصله، وكان غلاما لإسماعيل بن أحمد صاحب خراسان، ابن فضلان، المصدر السابق، مقدمة محمد سامي الدهان، ص 24.

[12]المصدر نفسه، ص68.

[13]المصدر نفسه، مقدمة محمد سامي الدهان، ص 25.

[14]المصدر نفسه، ص ص26،27.

[15] المصدر نفسه، ص124.

[16] المصدر نفسه، ص165.

[17]كراتشكوفسكي أغناطيوس يوليانوقتوش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، صلاح الدين عثمان، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جامعة الدول العربية، القاهرة، د.ت، ص168.

[18] ابن فضلان ، المصدر السابق ، ص30.

[19] نفسه.

[20] نهر اتل المعروف اليوم بنهر الفولغا.

[21] الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج.3، ص 79.

[22] شيخ الربوة شمس الدين الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعة مه. ر. هـ. ن، لبيستك، 1923، ص262.

[23]ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889، ص154.

[24] المسعودي أبو الحسن علي، التنبيه والإشراف، تصحيح ومراجعة، عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف، القاهرة، 1938.ص 46.

[25] المسعودي أبو الحسن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج.2، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط.5، د.ت، ص ص 33،34.

[26]الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، دار صادر بيروت، ط.1992، ص 92.

[27]المسعودي، مروج الذهب، ج.1، ص 182.

[28]البكري أبو عبيدة، المسالك والممالك، ج.1، تحقيق، أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، ط. 1992، ص 264.

[29]شعار عمر محمد، الروس وأصولهم على ضوء عمل المسعودي، مجلة التسامح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2005، العدد 11، ص 276.

[30]المرجع نفسه، ص 277.

[31]عاشور عبد الفتاح سعيد، أوربا عصور وسطى، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1980، ص 214.

[32]المريخي سيف شاهين، المرجع السابق، ص 156.

[33]شعار عمر محمد، المرجع السابق، ص277.

[34]المسعودي، مروج الذهب، ج.1، ص 182.

[35]القزويني زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 614.

[36]شعار عمر محمد، المرجع السابق، ص 277.

[37]ابن فضلان، المصدر السابق، ص 151.

[38]عمران محمود سعيد، المغول وأوربا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د.ت، ص ص 164، 165.

[39]ابن فضلان، المصدر السابق، ص 149.

[40]البكري، المصدر السابق، 264.

[41]ابن فضلان، المصدر السابق، ص 149.

[42]ابن بطوطة أبو عبد الله محمد اللواتي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج.2، دار الشرق العربي، بيروت، د.ت، ص 272.

[43]القراطق، يقصد بها السرواويل.

[44]ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، ج.1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط.1992، ص 150.

[45]ابن فضلان، المصدر السابق، ص ص 149،150.

[46]المصدر نفسه، ص150.

[47]هايد.ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة، أحمد محمود رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط. 1985، ص 81.

[48]المسعودي، مروج الذهب، ج.1، ص 181.

[49]ابن فضلان، المصدر السابق، ص 151.

[50]المصدر نفسه، ص155.

[51]ابن فضلان، المصدر السابق، ص 155.

[52]المصدر نفسه، ص156.

[53]الشمري نادية جاسم كاظم، رحلة القيصر الروسي بطرس الأكبر إلى أوربا(1697-1689)، مجلة جامعة بابل، كلية التربية، المجلد.24، العدد الأول، 2016، ص 253.

[54]عمران محمود سعيد، المرجع السابق، ص 164.

[55]البكري، المصدر السابق، ج.1، ص 264.

[56]ابن فضلان، المصدر السابق، ص 153.

[57]المصدر نفسه، ص154.

[58]المصدر نفسه، ص156 وما يليها من عدة صفحات.

[59]المسعودي، مروج الذهب، ج.1، ص 179.

[60]ابن حوقل، المصدر السابق، ص336.

[61]ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 327-328.

[62]نفسه.